العنزة والصاروخ

قصة

بقلم عبد الرحمن البيك

كان لاحد العلماء عنزة صغيرة ، بيضاء الشعر ، يصطحبها معه الى ساحة التجارب ، حينما يذهب ليجرب صاروخا ، او الى مكتبه حينما يذهب لينجز ما يوكل اليه من اعمال .

وكانت هذه العنزة شديدة الذكاء تحفظ في مخيلتها كل ما تراه من اعمال صاحبها المخترع العالم ، وتتعلم كل شيء يقوله امامها . حتى اتسعت ثقافتها ، وكبر افق مداركها . فغدا راسها الصغير مستودعا ، انتهت فيه معلومات جمة عن صنع الصواريخ والاسلحة الرهيبة .

وفي ذات ليلة ، دخلت برج القيادة في احد الصواريخ ، فلعبت بالالات ، طبقا لما كانت تحفظه في مخيلتها اثناء ملاحظتها لاعمال صاحبها المخترع . واذا بالصاروخ ينطلق من قاعدته شاقا عنان السماء في سرعة تتجاوز الادراك .

ولعبت العنزة بعد حين وجيز بمفاتيح لوحات التلفزيون ، فنقل اليها الاثير صورا غير ثابتة ، تعيش وتموت . واخيرا وضحت تلك الصور ، واذا بها تشاهد الارض في شكلها الكروي ...

عندئذ خاطبت العنزة الصاروخ :

ـ ايها الصاروخ العظيم ... اذهب بي بعيدا .. فانني اريد ان اصل الى النهاية هربا من صميم الحياة ..

فسالها الصاروخ متعجبا :

ـ ولماذا ايتها العنزة الجميلة ؟

ـ ذلك ان لي جديا صغيرا ... قتله ذئب وافترسه ..

ـ هذا عمل بسيط .. انك تجهلين بان هناك ذئابا تفترس بعضها بالملايين .. هل قص عليك صاحبك المخترع قصة الانسان ؟.

ـ كلا .. ولكني اعرف عنه النزر اليسير ـ هذا معقول.. اذن انظري الى يمينك .. تشاهدين قنبلة هيدروجينية معطلة .. ان هذه القنبلة هي ناب الذئب .. سلي صاحبك ما يروم ان يصنع بها .. انه يريد ان يقذفني الاف الاميال ، لاسقط هذه القنبلة فوق رؤوس الملايين، اليس هذا العمل هو من قبيل الوحشية ..

ـ صحيح .. انا اصدق مقالك ..

ـ لا .. ليس الامر بهذه البساطة كما تظنين .. فانا بالذات لي مشاعري الخاصة .. كما لك مشاعرك الخاصة .انك تشتكين من ذئب افترس جديك ، اما انا فاشكو من انني سافترس وساكون ضحية بذات الوقت..

سئمت العنزة من حديث الصاروخ فقالت له :

ـ ارجوك .. هلا غيرت مجرى الحديث فانني ما صعدت بك السماء ، الا لاسلو همي ، واروح عن شجوي .. دعني قليلا ، لامتع ناظري بصنعة هذا الكون الفسيح ..

ـ اعذريني ايتها العنزة ان كنت قد حملتك بعض الهم ، ولكن اريد ان ابثك مشاعري كي تكوني رسولة السلام بيني وبين صاحبك المخترع.

اخذت العنزة تسبح بابصارها خلال الاثير .. فتنظر الى النجوم والكوكب نظرات الاعجاب ، والصاروخ ما يزال يشق بها عنان السماء ..

عندئذ سالته العنزة :

ـ هل انت ابن العصر والمكتشفات ؟ فضحك الصاروخ وقال :

ـ بلى .. بلى .. ولكني اشعر بانني مخلوق منذ ملايين السنين ... ان سلالتي هي هذه المادن المختلطة بالاتربة .. انني موجود قبل ان يوجد شكلي الظاهري .. من اجل ذلك انا مؤمن بالله ..

عجبت العنزة لهذه الفكرة فقالت :

ـ أتعرف الله ايضا ؟..

ـ اجل اعرف الله تمام المعرفة .. اغبياء اولئك الذين يظنون بانهم يسخروننني من اجل الحروب .. فالخالق لا يعرف الحروب ، انظري نجومه وكواكبه . انها بمثابةالمدن والدويلات ... الا ترين ما اعظم هذا السلام المستتب بينها ..؟

ـ صحيح ! فلكم اتمنى ان ارى مثل هذا الهدوء على الارض .

لم يحر الصاروخ جوابا ،بل طفق يجتاز الفضاء في سرعة هائلة ، ثم ما لبث حتى قال :

ـاخشىان ينفد الوقود ايتها العنزة وعندئذ تكون الطامة ... انني اريد ان اموت .

ـ تبا لك من عنزة .. الا ترين معي ان اعود بك الى الارض ، لتجعلي جميع المخلوقات ابناءك ...

ـ وهل هذا معقول ؟

ورفضت العنزة ان تعود الى الارض ، فاعترى الصاروخ ذعر شديد .. فسالها :

ـ ما مقدار الوقود في الخزانات ؟ اجابت العنزة في يأس :

ـ انه في تناقص مستمر ..

ـ اذن فعلينا ان نعود .. الا تعلمين ان صاحبك العالم سوف يطلقني في الصباح ، لاختبار الاشعاعات الكونية

ـ اعلم ذلك ..

ـ اذن فما عليك الا ان تجعليني اعود الى قاعدتي

ـ حسنا ، فما دمت تروم الاذعان الى اوامر المخترع ، فانا ساذعن لك ايضا .

ـ يبدو انك تحبينني..

ـ كل الحب ..

واحمر وجه الصاروخ خجلا ، وكذلك احمرت جوانبه اثر مقاومة الهواء لهبوطه نحو الارض ، عندئذ سأل العنزة :

ـ انظري في عداد الوقود .. كم بقي منه .. هل يكفي لاتمام الرحلة..

فقالت العنزة بصوت مرتعش :

ـ ان الوقود نفد منذ دقائق

ـ وما الذي يقودني نحو الارض .؟

ـ الحب ...

ـ الحب ؟.. اراك جعلت من المزاح حقيقة .. فما هو هذا الحب الذي بيننا .. ارجوك ؟

ـ ان الحب بيننا ، يتمثل في حقيقة ادراكنا للمأساة المنتظرة التي ستحل بالارض . فبعد ان اقنعتني بان اسلو حزني على جديي الصغير، لاني اجد في باقي المخلوقات بديلا عنه ، لم استطع ان امحو من مخيلتي مخطط الافكار الاجرامية التي يصنع بموجبها العلماء قنابل هيدروجينية واسلحة رهيبة لتدمير المعمورة ... ان العلاقة التي هي الحب، اوشجت قلبي بقلبك ، وجعلتني اؤمن بانك ما انصعت لايدي العلماء ، وما توافقت عناصرك امامهم ، الا لانك تفيد في مجالات غير التي يعدونك من اجلها . فلقد رأيت من نافذتك دقة هذا الكون ، وتذوقت فن صنعته ، فآمنت بان هذه الوحدة المتماسكة انما هي دليل وحدة الله .. انك جعلت مشاعري تتسامى وترتفع .. وهذا الاتجاه اسمى الاتجاهات التي يجب على الجميع ان يسلكوها .

فعجب الصاروخ من حال العنزة فقال :

ـ يا لك من عنزة نبيلة .. انما انت تستحقين مدالية من النجوم .. ولكن كيف قلت لي ان الوقود نفد منذ بضع دقائق ..

ـ او تظن انني مازحة ..

ـ لا ادري بعد ..

ـ اذن ! انتظر لنرى.. اننا الان قمنا برحلة طويلة ، قطعنا خلالها خمسين الف كيلومتر .. والوقود كما هو معلوم لا يكفي الا لمسير اربعين الف كيلومتر ...

ـ اذن كيف يمكنني ان اصدق دعواك ؟

ـ ستعلم بعد قليل .

هبط الصاروخ على قاعدته ، فهدأ هديره ، وانطفأت محركاته. عندئذ سأل العنزة عن سر طيرانه بلا وقود . فاجابته العنزة :

ـ لقد جعلتك تحلق بي اكثر مما يجب ، فاختل مقدار الوقود اللازم للعودة.ربما انك اخبرتني بضرورة وجودك على القاعدة قبل بزوغ الشمس فانني فضلت الا اوغل في السماء ، مراعاة لصاحبي العالم ، لانه اذا حضر الى قاعدتك دون ان يراك .. فلسوف يجن جنونه .. ثم انني اردت ان اعود الى الارض على جناح السرعة ، كي اخبر صاحبي المخترع بحقيقة مشاعرك تجاه الخطط التي يرمون منها الى استخدامك فيغير صالح البشر.

عندئذ شكر الصاروخ العنزة ، فلما ان ضرب لها موعدا ليطارحها الغرام في الليلة التالية ، تحت اشعة القمر ، هاله ان وجدها لا تقدر على النطق، فلما ان حاول معرفة حالها .. شاهد يدها تقطر دما قرمزيا .. ثم شاهد ذلك الدم يجري نحو الخزانات .. حيث يذهب منها الى حجرات الاحتراق فيتولد منه طاقة ، جعلته يطير مسافة سبع دقائق .. فصاح : ـ

ـ ايتها العنزة .. ايتها العنزة ..

ولكن العنزة عجزت عن الكلام . فما كان منها الا ان توجهت نحو الباب اللولبي ففتحته ، ثم نزلت سلما امتد نحو الارض من تلقاء نفسه . وعلى بعد عدة خطوات ترنحت ثم سقطت ميتة .

بكى الصاروخ كثيرا ، ثم فكر فيمن سينقل مشاعره الى المخترع ، كي يصحح افكاره ... فلما ان عرف بان رسولة السلام ماتت ... فكر في عمل يخلص فيه من شر المخترع خصوصا وان عشيقته ذهبت ضحية من اجل تقويم افكار المخترع ، بغية الحفاظ عليه .

وهنا لمس الصاروخ ، مدىالحب العميق الذي كانت تكنه له العنزة. فاحترق قلبه وجدا وهياما . ولم تعد الحياة تساوي في نظره شيئا .

وبعد قليل ، تقدم المخترع من الصاروخ مع معاونيه ، وتهيأ لاطلاقه .. فاسترعت انتباهه حبيبات تسيل على جوانبه . فقال المخترع لمعاونيه :

ـ انظروا ماذا فعل الضباب بالصاروخ .

فقال الصاروخ في ذاته « تبا لك من انسان ، ان دموع الحب تسميها حبيبات ضباب . .»

عندئذ اطلق المخترع الصاروخ . ولكن الصاروخ الحزين ابى ان يطيع المخترع فانفجر ، وتناثرت شظاياه في كل مكان . وما كان من رأس الصاروخ الا ان تدحرج ونام الى جانب العنزة قرير العين .

حلب — عبد الرحمن البيك